

المستطرف في كل فن مستظرف

شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه .
وفي مدينة حمص مدينة أخرى تحت المدينة المسكونة العليا فيها من عجائب البنيان والبيوت
والغرف والماء الجاري في كل طريق من طرقها ما لا يعلمه إلا الله تعالى وعند حوران مدينة
عظيمة يقال لها اللجأة فيها من البنيان ما يعجز عن وصفه ألسنة العقلاء كل دار منها
مبنية من الصخر المنحوت ليس في الدار خشبة واحدة بل أبوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من
الصخر المنحوت الذي لا يستطيع أحد أن يعمل من الخشب وفي كل دار بئر وطاحون وكل دار
مفردة لا يلاصقها دار أخرى ولك دار كالقلعة الحصينة إذا خاف تلك النواحي من العدو دخلوا
إلى تلك المدينة فينزل كل إنسان في دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره ويغلق بابه
ويجعل خلف الباب حصاة فلا يقدر أحد على فتح ذلك الباب لإحكامه وفي هذه المدينة أكثر من
مائتي ألف دار فيما يقال ولا يعلم أحد من بناها وسمتها العرب اللجأة لأنهم يلجأون إليها
عند الخوف .

ومن المباني العجيبة إيوان كسرى أنو شروان بناه سا بور ذو الأكتاف في نيف وعشرين سنة
وطوله مائة ذراع في عرض خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شراريغه خمسة عشر
ذراعا ولما ملك المسلمون المدائن أحرقوا هذا الإيوان فأخرجوا منه ألف دينار ذهباً .
ووحكي أن المنصور لما أراد بناء بغداد عزم على هدمه وأن يجعل آله في بنائه فقيل له
إن نقضه يتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما أنفق عليه فوجد الأمر كذلك
وقيل إن بعض رؤساء مملكته قال له لما أراد هدمه هو آية الاسلام فلا تهدمه .
وحكي أنه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها امرأة إذا اتهم الرجل امرأته بزنا نظر في تلك
المرأة فيرى صورة الزاني فاتفق أن بعض الناس قتل غريمه فعمد أهله إليها فكسروها والله
سبحانه وتعالى أعلم وقد اقتضت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم